

المحاضرة الثامنة عشرة

الآثار السلبية للمشارك اللفظي:

إنَّ أخطر الآثار السلبية لظاهرة المشارك اللفظي^(١) وما قد تجده من تشويش يعوق التفاهم، أو يلقي ظلالاً من الغموض على المعنى. ويترتب على ذلك صراع بين المعنيين أو المعاني يحمل نتائج لغوية هامة قد تتصل بوجود الكلمة ذاتها. وتواجه اللغة هذه المشكلة الخطيرة أو الحالة الوبائية - كما سماها أولمان^(٢) - بجملة من الاجراءات السريعة تضع حداً لهذا الصراع، وتفصل بين الكلمتين ومن هذه الاجراءات:

أولاً: هجر أحد المعنيين وتركه بالكليّة لتصادمه^(٣) مع المعنى الآخر، وكثيراً ما يهجر المعنى ويبقى المعنى الثاني، إذا ما حدث الاحتكاك.

وعادةً ما يحدث الاحتكاك إذا تحققت الشروط الآتية:

١. أن تكون الكلمتان مستعملتين في نفس المجال اللغوي وفي طبقة اجتماعية واحدة. وإنَّ كلمة يستعملها الفلاحون لا يمكن أن يحدث احتكاك بينها وبين نفس الكلمة إذا كانت مستعملة في لغة المتقنين. ومن أمثلة هذا الاحتكاك من اللغة الانجليزية: الكلمتان: a near (كُلية) و an ear (أذن) في حالة وجود أداة التنكير فيهما، كانتا تتطقان بصورة واحدة. ولما كان من الواضح عدم

(١) ينطبق هذا على البوليزيمي والهومونيمي جميعاً. ويرى Robert Minner أن البوليزيمي ربما كان أخطر على المعنى من الهومونيمي نظراً لكثرة تردده في الكلام (Multiple Meaning، ص ٦٠).

(٢) أنظر: دور الكلمة في اللغة، ص ١٣٠.

(٣) من المجازفة أن ننسب اختفاء معنى قديم دائماً الى ظهور معنى جديد أو انتشاره. فقد يختفي المعنى بسبب اختفاء الشيء الذي يعبر عنه. كما قد يختفي اللفظ لصعوبة النطق به، وذلك حين يوجد لفظ آخر أسهل منه يؤدي معناه.

إمكانية تسمية عضوين مختلفين من أعضاء الانسان باسمين متحدين في النطق حلت الكلمة kidney محل كلمة near في معظم المناطق. اما في المناطق الأخرى حيث بقيت كلمة near فإن الكلمة ear هي التي اختفت وحلَّ محلها كلمة أخرى هي lug^(١).

٢. أن تكون الفترة الزمنية واحدة. فلا يمكن أن يُعد اللفظ الذي هجر في وقت ما متأثراً بلفظ آخر لا يشترك معه في الفترة الزمنية.

٣. أن تنتمي كلمتا المشترك اللفظي الى نفس النوع الكلامي وأن يردّا في نفس التراكيب النحوية. فليس من المحتمل نشوء صراع بين اسم وفعل، أو اسم وصفة، و مفرد وجمع، كما ليس من المحتمل نشوء صراع بين لفظين يختلفان في التراكيب النحوية التي يردان فيها.

٤. أن تتحد كتابة الكلمتين كما في light (بمعنى خفيف وبمعنى ضوء). اما اختلاف كتابتهما فقد يعمل على الاحتفاظ بهما بعيدتين عن الاحتكاك، لأنه عادةً ما يصحب نطق المثقف للفظ تصور من نوع معين لطريقة كتابته. ولهذا نجد هذا النوع من الكلمات يتم التخلص فيه من أحد اللفظين في لغة الحديث أسرع من لغة الكتابة^(٢).

أسباب المشترك اللفظي عند المحدثين:

لا تختلف اسباب المشترك اللفظي كثيراً عند المحدثين عما سبق ذكره عند القدماء. فمن أسبابه عندهم الاتساع المجازي مثل تضيق المعنى وتوسيعه،

(١) دور الكلمة في اللغة، ص ١٣١ ، ١٣٢. و Meaning of Style، ص ٢٢ ، ٢٣.

(٢) أنظر من قضايا اللغة والنحو، ص ٣٢، ودور الكلمة في اللغة، ص ١٢٨ ، و Edna Williams و كتابه القيم: The conflict of Homonyms in English في مواضع متعددة من الكتاب .

والاستعارة، ونقل المعنى... كما أن من أسبابه حدوث تطور صوتي يؤدي الى تطابق لفظين.

ومن الامثلة التي اوردها:

أ. كلمة bird الانجليزية، كانت تعني قديماً الطائر صغير السن اما الآن فهي تطلق على اي طائر.

ب. بعض أسماء الأشخاص التي صارت أسماء عامة مثل Boycott التي كانت اسماً لمالك أرض أيرلندي (1832-1897) أساء معاملة المستأجرين فقاطعوه. وقد اصبح اسمه يُطلق عل ماقاطعة، او رفض القيام بعمل كنوع من الاعتراض.

ج. كلمة meat كانت تعني قديماً الطعام ثم خصصت الآن بالحم.

د. كلمة bead كانت تعني الخرزة أو حبة المسبحة ثم استعملت في معنى التسبيح والدعاء. ما العلاقة بين المعنيين؟ لقد نتج عن أن بعض أعضاء الكنيسة الكاثوليكية كانوا يعدون أدعيتهم وتساييحهم على حبات الخرز والدعوات. وظلّ اللفظ بمعنييه جنباً الى جنب فترة من الزمن ثم غلب على الدعاء.

هـ. كلمة Salary تعني الآن المرتب من أي نوع. وقد كانت في الماضي تعني - في أصلها اللاتيني - مرتب الجندي. وإذا تتبعنا اللفظ في فترة أقدم وجدناه يعني فقط حصة الجندي من الملح.

و. كلمة pill كانت تستعمل قديماً لأي قرص من الدواء يستعمل لأي غرض. ثم مع شيوع استخدام وسيلة منع الحمل عن طريق الاقراص صارت كلمة pill

ضيقة المعنى وتعني فقط ((قرص منع الحمل)) وحلّ محل الكلمة العامة كلمة أخرى هي tablet^(١).

ز. كلمة head التي يوجد لها في معجم New England بالإضافة ابلى معناها الحرفي ستة عشر معنى تشير الى أشياء مادية، وستة تتضمن معاني مجازية متنوعة، وكلها متطورة عن معنى مركزي. اما أمثلة التطور الصوتي فقد سبقت في اكثر من موضع.

ويذكر إبراهيم أنيس أسباباً أخرى مثل:

أ. سوء فهم المعنى وبخاصة من الأطفال.

ب. الاقتراض من اللغات الجنبية، فقد يحدث أن تطابق الكلمة المقترضة كلمة

كانت موجودة في اللغة من قبل فتكون معها مشتركاً لفظياً.

ج. حدوث تطور في معاني الكلمات على مستوى اللهجات^(٢).

(١) من قضايا اللغة والنصوص، ص ٢٩، Introduction to Historical Linguistics،

ص ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٧، ١٧٩. وأنظر: إبراهيم انيس: في اللهجات العربية، ص ١٩٣

وما بعدها. ونجد أمثلة أخرى في اللغة لفندريس، ص ٢٥٦ وما بعدها.

(٢) أنظر: في اللهجات العربية، ص ١٩٦، وما بعدها.